-المحاضرة الرابعة-

٤ - النقد بين العلم والفنّ:

اشتد الخلاف بين النقاد في طبيعة النقد الأدبي وتصنيفه بين العلم أو الفنّ، فمنهم من رأى أنّ النقد مسألة ذاتية خالصة تعتمد ما تبعثه النصوص في نفوس القراء من انفعالات، وما تؤثر في أذواقهم من آثار مقبولة أو منكرة، وهذه النفوس والأذكار مختلفة باختلاف الأفراد، على أنّ هذه الأذكار تستحيل مع الأيام وسعة الثقافة، واستحالة الحياة الطبيعية والاجتماعية، فتصبح أحكامها معرضة إلى التناقض، ومعنى ذلك تتعدّد الأحكام بتعدّد النقاد، ثمّ تغيرها بتغير الأحوال، وليس هذا من طبيعة العلم. ولذلك وجب أن يوضع للنقد قواعد ومقاييس علمية تستعين بجملة من العلوم المختلفة وتضع لنفسها مناهج تسترشد بها في دراسة العمل الفني دراسة موضوعية بعيدًا عن الذاتية والأهواء الشخصية. على أن هذه القواعد النقدية التي يسترشد بها النقاد حين يباشرون بوظيفتهم لا يمكن مطلقًا أن تخلق الناقد البارع ما لم يكن من طبعه أساس خُلُقي وطبع وعبقرية موهوبة.

٥ - النقد بين الذاتية والموضوعية:

لقد بذلت جهود ومحاولات لجعل النقد الأدبي علمًا كسائر العلوم الطبيعية، مهمته تشريح النص عبر قوانين عامة مستمدة من العلوم في أغلب الأحيان ومنذ القديم وجدت قواعد لضبط القول الأدبي وتصنيف أنواعه، ولاسيما في الشعر. و لقد تبين لنا حتى الآن أن النقد لا يمكن أن يكون من العلوم التجريبية كالطبيعة والكيمياء ولا من العلوم الرياضية كالحساب والهندسة والجبر، لعل الحائل الرئيس ومن دون ذلك أن هذه العلوم موضوعية تدرس الأشياء والمقادير كما هي في دقة براءة من سلطان الأمزجة والعواطف، ولكن النقد فيه جانب موضوعي عام يتصل بالمسائل النحوية والبيانية وبمقدار من الذوق العام، وفيه جانب ذاتي يعتمد حتمًا على الذوق الخاص.. لذلك خرج النقد الأدبي من دائرة العلوم الخالصة، ثم حاول

أن يكون فنًّا خالصًا فما استطاع، إذِ الفن يمثل الذاتية الخالصة. لهذا لا نستطيع أن نعد الكتابة النقدية كتابة لها علميتها وحياديتها، فالجانب الذاتي فيها أمر طبيعي، يستطيع أن يهب النص النقدي حيوية وجاذبية، خاصة إذا استطاع الناقد إقامة توازن بين انفعالاته ووجدانه وبين معارفه والأسس النظرية التي ينطلق فيها العمل الفني. فلا يسقط ذاته على النص الأدبي ليمنع استقلاليته وقراءته من الداخل، فنقرأ أعماق الناقد ورؤاه أكثر مما نقرأ أعماق النص ورؤى الكاتب.

٦ – وظيفة النقد:

يمكن تلخيص أهمية النقد وكظيفته وغايته في النقاط الآتية:

أ– دراسة العمل الأدبي وتمثله وتفسيره وشرحه، واستظهار خصائصه الشعورية.والتعبيرية، وتقويمه فنيًّا وموضوعيًّا.

ب– تعيين مكان العمل الأدبي في خط سير الأدب، وتحديد سعة ما أضافه في التراث الأدبي في لغته وفي العالم الأدبي كله. ومعرفة درجة جدته من خلافها.

ج- تحديد عمق تأثّر العمل الأدبي بالمحيط وسعة تأثّره فيه، هذا من الناحية التأريخية، أما من الناحية الفنية فإنّه من المهم معرفة ماذا أخذ هذا العمل الأدبي؟، وحدود استجابته للبيئة.

د- يفسر النقد الآثار الأدبية ويبيّن الأصول اللازمة لفهمها، والوجوه التي تفهم عليها. وهو بذلك ييسّر قراءتها على الناس ويصل بينهم وبين الشعراء والكتّاب الذين ربّما لا يعرفون لولا النقاد ولهذا تتمكّن منزلتهم في النفوس، ويشتركون في بناء الحياة الاجتماعية، مؤثرين ومتأثرين.

هـ- لا يقف النقد الأدبي الخلّاق عند بيان المساوئ والمحاسن، وإنما يتعدى ذلك إلى اقتراح .ما ينهض بالأدب ويوسع من آفاقه إلى فنون جديدة وأساليب ممتعة..